

مناهج تدوين الحديث فى مصر وغيرها

كان تدوين الحديث فى مصر وغيرها فى القرن الاول الغرض منه حفظ السنة النبوية من الضياع ، وصيانتها من أن يتطرق اليها الوضع ، فكانت كتابة الحديث آنئذ كتابة فردية ، ثم مالبت أن دونت فى الصحف بجانب حفظها فى الصدور .

أما فى القرن الثانى فقد بدأ تدوين السنة فيه على يد الزهرى المتوفى سنة ١٢٤ هـ وكان منهج التدوين يقوم على جمع الأحاديث التى تدور حول موضوع واحد فى مؤلف خاص فكان لكل باب من أبواب السنة مؤلف خاص به تدون فيه الأحاديث المتصلة بموضوعه مختلطة بأقوال الصحابة وفتاوى التابعين .

ثم كانت المرحلة الثانية ، من مراحل التدوين فى القرن الثانى ، بعد الزهرى حيث قام الأئمة : مالك ، وابن جريج ، وسفيان الثورى وغيرهم فجمعوا أحاديث الأبواب وضموا بعضها الى بعض فكانت مصنفا واحدا ومزجوا الاحاديث بأقوال الصحابة وفتاوى التابعين ، ونسج على هذا المنوال بقية أهل عصرهم . ولم يصلنا من مؤلفاتهم الا موطأ الإمام مالك ومسند الإمام الشافعى ، والآثار للإمام محمد بن الحسن الشيبانى ووصف لبعض المؤلفات الاخرى وأغلب الظن أن العلماء أدمجوها فى مؤلفاتهم بعد ذلك . بجانب حفظها فى القلوب .

وكان الغرض من الجمع فى هذا القرن الثانى هو خدمة التشريع وتسهيل استنباط الأحكام ومن أمثلة ذلك « موطأ » الإمام مالك الذى يعتبر أول مصنف من المصنفات الصحيحة رتب على الأبواب .

قال أبوبكر العربى : الموطأ هو الاصل الاول واللباب . وكتاب البخارى هو الاصل الثانى فى هذا الباب وعليهما بنى الجميع كمسلم والترمذى (١)

وقد عنى الإمام مالك فى كتابه بتدوين الأحاديث القوية ، ومكث فى تأليفه وتنقيحه وتهذيبه أربعين سنة ، وقد نهج فى تدوين الحديث فى كتابه ان يكون مرتبا على الأبواب

فيذكر أحاديث كل باب ثم يتبعها بما ورد فيه من الآثار عن الصحابة والتابعين .

وأما فى القرن الثالث الهجرى فقد أخذ التدوين شكلا جديدا غير الذى كان عليه فيما مضى ، فقام علماء هذا القرن وأفردوا احاديث الرسول صلى الله عليه وسلم عن أقوال الصحابة وفتاوى التابعين ، وتصدى بعضهم لتدوين الاحاديث التى يوهم ظاهرها التناقض ، أو يقع فى حسابان البعض أنها غير صحيحة ، ويجمع الطعون الواردة عليها ويبين حقيقتها ويرد على تلك الطعون كما تقدم فى الحديث عن ابن قتيبة الدينورى .

وكانت مناهج التدوين فى القرن الثالث ترجع الى الطرق الاتية : -

(١) **منهج التدوين على المسانيد** : ويتحقق بجمع المؤلف مايروى عن الصحابى فى باب

واحد من غير تقييد بوحدة الموضوع ، واتسم هذا المنهج بافراد الحديث وتجريده من أقوال الصحابة وفتاوى التابعين ، وجمع كل مايروى عن الصحابى وأن اختلفت موضوعات الأحاديث فمثلا يوجد حديث للصلاة بجانب حديث الصوم وهكذا مع الجمع بين الحديث الصحيح وغيره .

فيذكر صاحب المسند مثلا أبا بكر الصديق رضى الله تعالى عنه وجمع مارواه من الاحاديث ثم عمر رضى الله تعالى عنه وهكذا .

وكان منهم من يرتب أسماء الصحابة على القبائل فيقدم بنى هاشم ثم الأقرب فالأقرب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى النسب ، ومنهم من رتبها على السبق فى الاسلام فقدم العشرة المبشرين بالجنة ثم أهل بدر ثم أهل الحديبية ثم من أسلم وهاجر بين الحديبية والفتح ثم من أسلم يوم الفتح ، ثم أصاغر الصحابة سنا ثم النساء وممن سار على هذه الطريقة الامام احمد بن حنبل .

ومنهم من رتبهم على حروف المعجم كالطبرانى فى المعجم الكبير ومن طرق التصنيف على المسانيد تصنيفه معللا بأن يجمع فى كل حديث طرقه واختلاف الرواة فيه ، فإن معرفة العلل أجل انواع علم الحديث وبها يظهر ارسال بعض ماعد متصلا ، أو وقف ماظن مرفوعا وغير ذلك من الامور المهمة ، وقد ألف الحافظ الكبير يعقوب بن شيبه البصرى المتوفى سنة ٢٦٢ هـ مسندا معللا غير أنه لم يتم ، ولو تم لكان فى نحو مائتى مجلد ،

والذى تم منه مسند العشرة والعباس وابن مسعود وعتبة بن غزوان وبعض الموالى وعمار . (١)

وطريقة المسانيد هذه هى التى ابتداء التآليف عليها فى القرن الثالث الهجرى ، وأول من قام بذلك هو عبد الله بن موسى العيسى الكوفى ومسدد بن مسرهد البصرى وأسد بن موسى الأموى ، ونعيم بن حماد والخزاعى نزيل مصر ثم انتشر التآليف على هذه الطريقة بعد ذلك بين الائمة والحفاظ كالامام احمد بن حنبل واسحاق بن راهوية ، وكان منهم من جمع بين طريقة المسانيد وطريقة الابواب فى مصنفه كأبى بكر بن أبى شيبة (٢)

ومن أعظم المسانيد مسند الامام احمد بن حنبل ، وهو المراد عند المحدثين على الاطلاق وإذا أرادوا غيره قيدوه باسم صاحبه (٣) ، وقد يطلق المسند على الكتاب المرتب على الابواب أو الحروف أو الكلمات لكون احاديثه مسندة ومرفوعة الى النبى - صلى الله عليه وسلم - كصحيح البخارى فانه يسمى (المسند الصحيح) وصحيح مسلم ، وسنن الدارمى فإنها تسمى بالمسند ، وهناك مسندات لم تصل إلينا كمسند الحارث بن الحارث بن أبى أسامة المتوفى سنة ٢٨٢ ، ومسند عبد الحميد المتوفى سنة ٢٤٩ (٤) وكان لهذه الطريقة مزايا وعيوب :

أما مزاياها ، فهى تجريد الأحاديث النبوية عن غيرها ، فقد أفردت أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم بالتدوين ، وجردت من أقوال الصحابة وفتاوى التابعين ففى هذه الطريقة إذا نوع من استقلال الحديث عن الفقه .

وأما عيوب هذه الطريقة : فهى صعوبة الوقوف على الحديث فى المسند ، لعدم جمع

الأحاديث المتناسبة فى موضوعاتها فى باب خاص ، كما كان من عيوبها كذلك تعذر معرفة درجة الحديث من الصحة والضعف والاحتجاج به أو عدمه ، لاحتمال أن يكون كل حديث فى نظر القارى صحيحا أو ضعيفا لأنها جمعت بين الصحيح وغيره ، فلا يستطيع إدراك هذا كله إلا الحافظ المتضلع ، وكان الباعث لأصحاب هذه الطريقة على تدوين الأحاديث التى لم تبلغ مرتبة الصحة هو أن الطرق قد تتعدد فيصل الحديث الى درجة الصحة ، كما

أنها صالحة للاعتبار بها وقد تتبين صحة الحديث لنقاده بعد ذلك .

(١) تاريخ فنون الحديث (١٥)

(٢) مقدمة فتح البارى لابن حجر ص ٥

(٣) الرسالة المستطرفة ص ٦١

(٤) نظرة عامة فى تاريخ الفقه الاسلامى ص ٣٠٢ الدكتور على حسن عبد القادر

ومما هو جدير بالذكر أن العلماء في هذا العصر كانوا على درجة عالية في معرفة الصحيح من الأحاديث التي دونوها ، أو دونت لهم ، ومعرفة الضعيف منها ومعرفة عللها ، فكانوا على علم بحال المتن والأسانيد التي في هذه المسانيد .

(٢) منهج التصنيف على الأبواب :

ويقوم على تخريج الحديث على أحكام الفقه وغير ذلك ، وتبويب الأحاديث وترتيبها ترتيباً موضوعياً ، وتنوعها أنواعاً مختلفة بحيث يجمع المصنف ماورد في كل حكم وفي كل باب على حدة ، فيجمع الأحاديث المتعلقة بالصلاة في باب ، والمتعلقة بالصوم في باب وهكذا ، وأهل هذه الطريقة منهم من اقتصر على إيراد ماصح فقط كالشيخين « البخاري ومسلم »

ومنهم من لم يقتصر على ذلك كأبي داود والترمذي والنسائي وكان من مزايا هذه الطريقة سهولة الحصول على الحكم الشرعي وغيره من الباب الخاص به ، والوقوف على درجة الحديث ببسور وسهولة بخلاف الطريقة الأولى « طريقة المسانيد » حيث يصعب فيها الحصول على المطلوب ، وهذا مادعا الامام البخاري إلى أن يتجه في كتابه إلى الاختصار على الحديث الصحيح وتبعه الامام مسلم سيرا على منهجه .

وكان لهما الفضل في تمهيد الطريق أمام طلاب الحديث ليصلوا إلى الصحيح من الأحاديث دون عناء ، ولعل أقدم كتاب يمثل طريقة التصنيف على الأبواب هو « موطأ » الامام مالك ، غير أنه مزجه بأقوال الصحابة والتابعين ، بخلاف عمل الشيخين فقد أفردا الحديث عن تلك الأقوال والفتاوى .

وكان الداعي لهذه الطريقة هو أن تكون عوناً للفقهاء وتسهيلاً لهم في الوقوف على الأحاديث التي يستنبطون منها أحكامهم أو يستدلون بها أو يجتهدون على ضوءها .

(٣) الطريقة الثالثة : طريقة الجمع لبعض الأحاديث والطعون الموجهة إليها والرد

عليها كما في كتاب (تأويل مختلف الحديث) لابن قتيبة المصنفة على هذه الطريقة .